بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

(الدرس الأول – مقدمة)

من سلسلة دروس في السيرة النبوية

للشيخ/ خالد باطرفي

(أبو المقداد الكندي)

الخميس ١ رمضان (٩) ١٤٣٦ هـ | الموافق ١٨ يونيو (٦) ٢٠١٥ م

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد، فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد –صلى الله عليه وآله سلم–، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

بإذن الله ستكون لنا دروسًا في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهذا الدرس –بإذن الله تعالى– الأول: (مقدمة للسيرة)، وسبب وهدف دراستنا لسيرة النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–.

- فأول هدف من أهداف دراسة السيرة: أن نتأسّى به –عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم–؛ فإن الإنسان إذا أحب شخصًا يحبُ أن يعرف سيرته وما خفي فيها وما ظهر؛ حتى يقتدي به، وأَوْلى من يُحَب وأَوْلى من يُقْتدي به ويتأسى به رسولنا –صلوات ربي وسلامه عليه–، وقد قال الله –سبحانه وتعالى–: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.

كذلك دراسة السيرة وسير الأنبياء مما يُثبّت على الدين؛ فإن هؤلاء الأنبياء عندما يبعثهم الله –سبحانه وتعالى– على فترةٍ من الرسل وغفلة من الناس، فبمعرفة سيرهم يثبت الإنسان على دينه، قال تعالى: {وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ}، وقال تعالى محدثًا نبيه –صلوات ربي وسلامه عليه–: {أولئك الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} بعد أن ذكر الأنبياء {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}.

طبعًا التّأسّي والاقتداء بالنبي –صلى الله عليه وآله سلم– ليس فقط في كيفية صلاته وصيامه وحجه وعبادته –عليه أفضل الصلاة والسلام– وإن كان ذلك من أهداف التأسّي، والواجب على المسلم أن يتأسى برسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– في عبادته، لكنّ الأمر أعظم من ذلك، أعظم بكثير من ذلك، فنبينا –عليه الصلاة والسلام– غيّر به اللهُ –سبحانه وتعالى– مجرى الكون، غيّر به واقع العالم بأسره، كانت بعثته –عليه الصلاة والسلام– رحمة للعالمين،

ليست للعرب خاصة بل للناس عامة، فعندما نعرف سيرته -عليه الصلاة والسلام- نعرفُ كيف هذه الشخصية العظيمة استطاعت أن تُخرج الناس من الظلمات إلى النور -بإذن الله-، كيف هذا الرجل العظيم استطاع أن يهدي اللهُ به الناس من الضلالة إلى الهدى؟ كيفية فعل النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- هذا.

فكثير منا لا يعرف أن سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- من بعثته إلى وفاته كانت ثلاثة وعشرين سنة فقط! فعل فيها ما لا يفعلها كثير من دعاة اليوم في عشرات السنين، دخلت جزيرة العرب في دين الله أفواجًا في هذه السنوات القليلة، فواجب على الدعاة خاصة وعلى المسلمين عامة أن يعرفوا سيرة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ليستطيعوا أن يغيّروا واقعهم، فهذا من أسباب دراسة السيرة التأسي به عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

- السبب الثاني: معرفة الواقع الذي جاء فيه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، وكيف كان هذا الواقع؟ هل كان هذا الواقع مُهيّأ لبعثة كبعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ أم أنّ الأمر كان فيه صعوبة وشدة وبلاء؟

الحقيقة أن الواقع الذي جاء فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- وبُعث به النبي -صلى الله عليه وسلم-، كان واقعًا مُزريًا جدًا جدًا جدًا، فقد روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده والنسائي في سننه: عن عياض بن حمار المجاشعي -رضي الله عنه- أنه قال: "خطبنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومًا خُطبة فكان مما قال فيها: (ألا إن الله أمرني أن أُعلّمكم ما جهلتم مما علّمني يومي هذا، ألا كل عبدٍ نَحَلْتُه نِحلةً حلال، ألا وإنّي خلقت عبادي حنفاء كلهم — حنفاء: أي كلّهم على فطرة الإسلام-، وإنهم أتتهم الشياطين فاجْتَالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللتُ لهم وأَمَرَتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزّل به سلطانًا — طبعًا المقصود بهذا: شياطين الجن والإنس- وإنّ الله نظر إلى أهل الأرض فمَقَتَهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنّما بعثتك لأبتليَك وأبتليَ بك، وأنزلتُ عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرأه نائمًا ويقظانًا، وإن الله أمرني أن أُحرق قريشًا، فقلت: ربّ، إذًا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما استخرجوك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشًا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك).

فانظروا كيف يبيّن هذا الحديث حال الناس في ذلك الوقت، فكان مقت اللهِ -سبحانه وتعالى- على جميع الخلق في ذلك الوقت إلا بقايا من أهل الكتاب، وإن الشياطين -شياطين الإنس والجن- قد اجْتَالت الناس، يعني: حرفتهم

وأزالتهم عن التوحيد وعن الفطرة السليمة إلى الملل والنحل وغير ذلك من الشركيات التي كانت في ذلك الوقت؛ فمثلًا: حال جزيرة العرب في ذلك الوقت: كانت اليهودية في جزيرة العرب، والنصرانية في جزيرة العرب، والوثنية في جزيرة العرب، بعد أن كانوا على ملة إبراهيم -عليه السلام-، كيف بُدّل الدين؟ كيف دخلت اليهودية والنصرانية إلى جزيرة العرب؟ ثم -من خلال السيرة- كيف خرجت هذه الأديان كلها من جزيرة العرب وجُددت ملة إبراهيم من جديد؟

لا أقول جاءت من جديد لكن جُدِّدت، وما الرسل إلا مُذكرون بالميثاق الأول؛ بالفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، كما جاء في الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال -عليه الصلاة والسلام-: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه)، وفي رواية (أو يُشرِّكانه)، وفي رواية لهذا الحديث (ما من مولد يولد إلا على الملة) يعني على ملة إبراهيم على الإسلام، فهذا الطفل عندما يكبُر في مجتمع يهودي، أبواه يكونان يهوديّين فهم يعلمونه اليهودية، وكذا باقي الأديان.

كذلك سبب دراستنا للسيرة ومعرفة واقع حال الناس في ذلك الوقت الذي بُعث عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- ننظر في واقعنا اليوم وكأن الزمان يعيد نفسه، فمثلًا انظروا لحال المسلمين اليوم وكيف تسلّط الكفار عليهم؟ كيف حال المسلمين أنفسهم مع دينهم؛ بُعدًا عن الدين وتغييرًا لكثير من معالمه على رأس ذلك معالم التوحيد والولاء والبراء، بعض الناس عندما يرى الواقع هكذا إمّا أن يوافق الواقع ويقول: أنا ما أستطيع أن أُغيّر هذا الواقع، أو أنه يحاول فعندما لا يستطيع لا يفعل شيء ويعود كما الأول، أو أنه يتخذ سبيلًا وطريقة لتغيير الواقع مخالفة لما كان عليه محمد -صلى الله عليه وسلم- والصحابة -رضوان الله عليهم-، والسبب أن الزمان غير الزمان، كيف الزمان غير الزمان؟! ذاك الزمان كان أشد من هذا الزمان!

فأنت عندما تدعو في أمة الإسلام مثلًا تُذكّرهم بما كان عليه أسلافهم، عندما تدعو اليهود والنصارى تذكرهم بتاريخ الإسلام معهم ومع أسلافهم في هذا الزمان، ونحن عندما نغيّر كما غيّر رسول الله —صلى الله عليه وآله وسلم- نُبيّن للناس عظمة ديننا وعظمة نبينا، فكما غيّر النبي -صلى الله عليه آله وسلم- وأصحابه -رضوان الله عليهم- ذلك الواقع المرير، نحن بإذن الله بسلوكنا سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمعرفتنا بسيرته نستطيع أن نُغيّر ذلك الواقع، ولن يَصلُح آخر هذه الأمة إلا بما صَلُح أوّلها.

فالحالة الدينة والحالة الاقتصادية والحالة السياسية والاجتماعية في ذلك الوقت كانت حالة مقاربة لحالتنا هذه؛ فمثلًا على سبيل المثال:

- **الحالة السياسية** في ذلك الوقت: كان هناك قُطبان في العالم هما اللذان يحكمان العالم؛ فارس والروم، فارس عُبّاد النار مجوس، والروم نصارى على دين النصرانية المحرف، على دين عيسى المحرف، فكان هذان القطبان هما الذين يحكمان العالم في ذلك الوقت، حتى العرب كانوا قسمين: قسم يُدين بالولاء لإمبراطورية فارس، وقسم يُدين بالولاء لإمبراطورية الروم، فمثلًا الغسسانة في الشام كانوا يُدينون بالولاء للروم وكانوا نصارى وهم عرب، والمناذرة في الحيرة في العراق كانوا يُدينون بالولاء لفارس، اليمن كانت في ذلك الوقت تحت وطأة الاحتلال الفارسي أو تحت الحكم الفارسي وكانون يُدينون بالولاء لفارس وهكذا، أما الحجاز ونجد وغيرها فكانوا قبائل متناحرة فيما بينهم يغزوا بعضهم بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا وهكذا، وبعض القبائل تُدين بالولاء إلى أحد القطبين هذه، فمثلًا بني شيبان عندما جاءهم النبي –صلى الله عليه وسلم– وعرض عليهم نفسه لنصرته كانوا يدينون بالولاء لفارس فكانوا يقولون له: أما العرب نحن نكفيك إياهم أما الفرس فلا ما لنا قِبَلًا بهم، فقال عليه الصلاة والسلام لهم: (إنّ هذا الدين لا ينصره إلا من أحاطه من جميع جوانبه)، –وسيأتي إن شاء الله من خلال السيرة–.

- **الحالة الدينية:** –كما ذكرنا من قبل– الوثنية منتشرة، غُيّرت ملة إبراهيم الحنِيفية السمحاء إلى الوثنية، اليهودية كانت في جزيرة العرب، النصرانية كانت في جزيرة العرب، فارس تُدين بالمجوسية، الروم تُدين بالنصرانية المحرفة وهكذا، كيف دخلت هذه الأديان إلى جزيرة العرب؟ سيأتي ذلك في أثناء السيرة.

ولنعلم أنّ النصرانية بدأت تنتشر في بلاد المسلمين عن طريق المنصّرين وعن طريق البعثات التنصيرية حتى في اليمن هنا، هناك من بدّل دينه إلى النصرانية، وهناك جمعيّات تنصيريّة في هذا البلد، وفي جزيرة العرب وفي غيرها، أما أفريقيا فحدّث ولا حرج، ونُسخ الإنجيل توزع كما يوزع الماء للناس في العالم كله.

- **الحالة الاجتماعية:** تعرفون الزنا وهذه الأمور كانت منتشرة بينهم، والبِغاء بين الإماء وغيرهم، حتى التَّعري كان هذا الأمر طبيعي جدًا في بلاد العرب في مكة في بيت الله الحرام، بتشريع من قريش، التعري وغير ذلك.

- **أما الحالة الاقتصادية**: فالربا وأكل أموال الناس بالباطل كله كان موجودًا، وهذا كذلك موجود في زماننا هذا وبكثرة بل بتشريع وتَقنين، صروح الربا في بلاد المسلمين بطولها وعرضها بدون نكير، ومن أنكر على ذلك قالوا له: جئت بدين جديد {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ}.

- التغيير: من أسباب وأهداف دراسة السيرة أن نعرف طريقة التغيير، فانظروا مثلًا في الحديث الصحيح قال النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء)، كيف غريب؟ الكل استنكر الإسلام عندما جاء مع أنه لم يأتي بشيء جديد بالنسبة لقضيّة التوحيد، نفس المِلة التي كان يدعو لها إبراهيم -عليه السلام- وإسماعيل -عليه السلام- والتي كان عليها العرب من لدُن إسماعيل -عليه السلام- إلى أن غُيّر دين العرب على يد رجل من خُزاعة اسمه عمرو بن لُحيّ -وستأتي قصته في أثناء السيرة-.

فالنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- جاء يدعوهم لملة إبراهيم التي كانوا يدينون بها، لكن عندما بُدلت هذه الملة وعاشوا رَزْحًا من الزمان على هذا التبديل فجاء النبي- صلى الله عليه وسلم- ليُجدّد لهم معالم التوحيد فرأوا أن ذلك تَمييع في دينهم وإتيان لدين جديد.

وهذا الواقع اليوم؛ عندما تأتي وتُحدّث الناس بالإسلام الصحيح، بالإسلام الحق، للأسف الشديد عند المسلمين الكل يستنكر عليك! وكما قلت لكم: هناك من الناس بل المفروض أن يكونوا من عِلية القوم من رضي بالواقع، حتى أن أحد العلماء قيل له وكلّموه في التغيير وفي المظاهرات، قال: هذه المظاهرات محرمة وهذه أتتنا من الغرب وهكذا من هذا الكلام، ثم قال: وقد روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنه قال، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شرٌ منه حتى تقوم الساعة)، فعندما يسمع الكلام هذا العامي وطالب العلم، ماذا يحصل عنده؟ يحصل عنده إحباط، لا يوجد سبيل للتغيير ليس لك إلا أن تسير مع الواقع، أو إن كان فيك خير وتريد الدين وفهمت الحق فاعتزل وما لك وما للناس!، وبعضهم يستدل بقول الله -سبحانه وتعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}، وبالحديث (حتى إذا رأيتم شُحًا مُطاعًا وهوى مُتبعًا، ودنيا مؤثَرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه عليكم أنفسكم، لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم، عليك بخاصة نفسك).

وهذا الفهم خاطئ للحديث؛ نعم أنا أفهم الإسلام كما جاء عن الله –سبحانه وتعالى– وكما جاء عن رسول الله –صلى الله عليه وآله سلم– ثم أدعو له، ثم أُجدّد معالم الدين، وأين نذهب بالأحاديث المستفيضة في الطائفة المنصورة والفرقة الناجية والطائفة الظاهرة على الحق؟ وعن حديث: (على رأس كل مئة سنة يأتي للناس من يُجدّد أمر دينهم)، فقد يأتي إنسان ويقول لي مثلًا: المهدي، حسنًا المهدي يريد تجديد، يريد تَوطئة وتهيئة لذلك، كما أن النبي –صلى الله عليه وسلم– سيأتي إن شاء الله في أثناء السيرة كانت هناك إرهاصات لبعثة النبي –صلى الله عليه وسلم–، مقدمات لبعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– هي التي هيّأت أمر هذه البعثة، فإن شاء الله تعالى هذه من الأهداف أن نعرف كيف نغير هذا الواقع.

ولا بد أن يكون عندنا تفاؤل، فهذا رسول الله –صلى الله عليه وآله سلم– في أول يوم من بعثته عندما نزل عليه الوحي بـ"إقرأ" فخرج من الغار إلى بيت خديجة فقال لهم: (زمّلوني زمّلوني، دثّروني دثّروني)، فلما هدأ جاءت إليه خديجة –عليها السلام من ربها– كما صحّ ذلك عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في صحيح البخاري: أنه نزل جبريل –عليه السلام– فقال للنبي –صلى الله عليه وسلم–: (هذه خديجة تأتيك ومعها شيء من إدام، فأَقرِئ عليها من ربها السلام، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب)، فهي عليها السلام، فعندما هدأ جاءت إليه –عليها السلام– وقالت له: لعلك خفت على نفسك –يعني من الجن– فقال لها: (نعم)، قالت: لا والله لا يُخزيك الله أبدًا؛ فإنك تُقري الضيف وتُعين على نوائب الحق وتُعطي المعدوم، فذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان عنده علم من الكتاب وقد تنصّر في الجاهلية –وستأتي قصته في أثناء السيرة في مقدمات السيرة بإذن الله تعالى، فذهبت به إلى ورقة، فقالت لورقة: اسمع من ابن أخيك، فلما تكلم النبي –صلى الله عليه وسلم– بما رأى قال له ورقة: ما عندك؟ ماذا رأيت؟ فذكر له ذلك، فقال: آلله لقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء لموسى، يا ليتني كنت فيها جَذِعًا حين يُخرجك قومك، قال: (أَوَمُخرجيّ هم؟) قال: نعم ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ولئن أدركت يومك لأنصرنّك نصرًا مؤزرا.

ثم مات رحمه الله قبل أن يُبعث النبي –صلى الله عليه وسلم– بالرسالة، وقد ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه من أهل الجنة؛ لأنه نوى أن يصدّق بالنبي –صلى الله عليه وسلم– وأن ينصره.

فانظروا إلى ذلك الحال، وهذا النبي –صلى الله عليه وسلم– ومع ذلك يأتيه اليقين أن الأمر ليس بالسّهل وصعب، ومع ذلك نجد في خلال سيرته –عليه الصلاة والسلام– دائمًا متفائل، حتى أنه في يومٍ خرج إلى الطائف فطرده أهل الطائف –في قصة ستُذكر إن شاء الله–، فلمّا خرج وقد رموه بالحجارة وأدموا قدميه، وكان معه زيد بن حارثة –رضي الله عنه–، فكان متأثرًا بحال النبي –صلى الله عليه وسلم–، فنظر إليه –عليه الصلاة والسلام– وقال له: (إنّ الله جاعلٌ لِما ترى فرجًا ومخرجا، وإن الله ناصرٌ دينه ومؤيد نبيه) حتى في هذا الحال يتفاءل عليه الصلاة والسلام!، وقد كان ممن يُحب الفَأل، وعندما يُذكر عنده الفأل الحسن يستبشر به –عليه الصلاة والسلام–.

وكذلك نذكر من البشائر في هذا الزمان التي ذكرها لنا الله –سبحانه وتعالى– ونبينا –عليه الصلاة والسلام–، فمن البشائر قول الله تعالى: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}، فسبب رسالة النبي –صلى الله عليه وسلم– كما جاء في هذه الآية: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}، قال الإمام الشافعي في هذه الآية: "ليُظهرن اللهُ دينَه على الأديان حتى لا يُدان اللهُ إلا به وذلك متى شاء الله"، بإذن الله تعالى كما صحّ ذلك عن نبينا –عليه الصلاة والسلام– في الحديث الذي صححه العراقي والألباني –رحمهم الله– عن أبي رقية تميم بن أوس الدّاري –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (ليبلُغنّ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، حتى ما يكون بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ –بيت مد: يعني المدن والقرى، ولا وبر: حتى البوادي بيوت الوبر– إلا يَدخله الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يُعزّ اللهُ به الإسلام وذلًا يُذل اللهُ به الشرك)، فهذه بشارة عظيمة من نبينا –عليه الصلاة والسلام–.

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وصحّ عنه، عن حذيفة –رضي الله عنه–، –نحن اليوم نرى أمة الإسلام مُفكّكة وليس لنا دولة ولا صوت، فهل سيكون لنا دولة؟ نعم، قال –عليه الصلاة والسلام–: (تكون فيكم النُّبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها اللهُ إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون فيكم خلافة على منهاج النبوة..) وهي على الصحيح خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ابن علي؛ لأنه في حديث آخر قال: (تكون فيكم الخلافة ثلاثون سنة، ثم يكون مُلكًا) فكما قال العلماء منهم شيخ الإسلام ابن تيمية: " أن معاوية رضي الله عنه كان أول ملك في الإسلام"، وإن كان يسمى الخليفة وأمير المؤمنين ولكنه كان ملكًا، خليفةً ملكًا عند بعض العلماء، فثلاثون سنة كانت خلافة على منهاج النبوة، فقال: (ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها اللهُ إذا شاء أن يرفعها، ثم

يكون فيكم حُكمًا عاضًا أو عَضُوضًا..) ومعنى الحكم العَضُوض: الوراثي؛ الابن يرث أبيه وهكذا، وهو خلافة الدولة الأموية والدولة العباسية والدولة العثمانية إلى أن سقطت الخلافة بالكامل أو الدولة الإسلامية، (ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم يكون فيكم حكمٌ جبري) وهو ما نحن فيه اليوم، على رغم أنوفنا ولا شورى ولا أي شيء، وإن كانوا يضحكون على الناس بالديمقراطية ويقولون شورى، سبحان الله! هذا مصادقًا لحديث النبي –صلى الله عليه وسلم– وصحة لنبوءته عليه الصلاة والسلام.

فسبحان الله هذه الديمقراطية جاءت من الغرب ونجحت في الغرب لكنها في بلاد المسلمين ما نجحت، قولوا لي: أين من صعد بالديمقراطية في كل بلاد المسلمين؟ لأنه حكم جبريّ هذا الصحيح بالقوة، وإن كانوا يعملون انتخابات رئاسية صورية، لكن في الحقيقة أنه حكم جبري، وكل طاغوت يريد أن يورّث ابنه، فلو رأينا مثلًا على التاريخ السابق حافظ الأسد –عليه من الله ما يستحق– النصيري ورّث ابنه، حسني مبارك كان يريد أن يورِّث جمال مبارك، علي عبد الله صالح كان يريد أن يورث أحمد، أما في بلاد الحرمين وفي دول الخليج فالأمر هذا مُقنّن ملك جبري، وفي بقية البلاد قِسْ على ذلك الملكية أو غيرها، أما ما حدث في الأردن فشيء عجيب! الحسن بن طلال –أخو الحسين بن طلال– مكث أربعين سنة وليًا للعهد، حتى إذا دنا أجل الخبيث الحسين بن طلال نحّاه ووضع ابنه عبد الله، عبد الله الثاني بن الحسن هكذا؛ لأن أمريكا لا تريد الحسن بن طلال لأنه لا يوافق هواها، فنحّى الحسن ونصّب عبد الله الثاني قبل أن يموت بشيء بسيط وليًا للعهد، فعندما هلك جاء ابنه وحكم والآن عبد الله الثاني وعندما بدأ في حكمه لم يكن حتى يعرف العربية كان يتكلم العربية مكسر؛ لأنه عاش في بريطانيا وتربّى في بريطانيا وأمه بريطانية.

فهذا هو حكم الجبري، فقال عليه الصلاة والسلام: (ثم يكون فيكم حكم جبري ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه، ثم تكون فيكم خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت)؛ يعني الخلافة على منهاج النبوة آتية فهذه بشرى، خلافة على منهاج النبوة.

بل ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– كما في صحيح مسلم قال: (يأتي في آخر الزمان خليفة ..) ولم يقل ملكًا، الناس الآن تسعى وراء الدرهم والدينار وتُفني حياتها من أجل الدرهم والدينار، ويموتون من أجل الدرهم والدينار، وتُقطع العلاقات بين الأرحام وبين الدول من أجل الدرهم والدينار، انظروا ماذا يقول –عليه الصلاة والسلام– في هذا الحديث عن هذا الخليفة، قال: (سيأتي خليفة في آخر الزمان يَحثُو المال حثوًا، لا يَعدّه عدًا)، تفكّرت في هذا الحديث

وفي واقع المسلمين اليوم، من أين سيأتي المال هذا؟ فنظرت إلى حال المسلمين الحقيقة أن الدول الإسلامية أغنى الدول لكن حال الشعوب أفقر الشعوب؛ فعندنا أكبر مخزون للبترول في العالم، في بلاد الحرمين وفي الكويت وفي العراق وغيرها، وأهل الإسلام يسألون الناس إلحافا!

فرأيت في واقع المسلمين وأرض المسلمين، أرض المسلمين خصبة جدًا للزراعة ونحن نستورد القمح من أمريكا، مع العلم أن الأمريكان في كل سنة يفيض عليهم القمح فائض كبير جدًا، فماذا يفعلون فيه؟ يحرقونه حتى نبقى دائمًا في حاجة لهم لا يبيعوه بخسارة لا، يحرقوه، ويأتي في العام المقبل ويبيع لك بنفس السعر.!

بعض الناس يظن أن الاقتصاد الربوي هذا فيه فائدة، لا، نسوا قول النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما صحّ عنه أنه يقول: (الرِّبا إلى قلة وإن كان يظن أنه إلى كثرة) أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-، والآن نرى الأزمة الاقتصادية التي يعيش فيها العالم اليوم، وفي فرنسا بدأت بعض البنوك تطبق الشريعة الإسلامية والاقتصاد الإسلامي، في فرنسا أُم العلمانية، مَعقل العلمانية ومَسقط رأس العلمانية يطبقون في بعض البنوك الشريعة الإسلامية؛ لأنهم لم يجدوا أي حل أبدًا إلا في هذا، فسبحان الله، أهل الإسلام اليوم بعيدون عن هذه الشريعة والكفار يتحاكمون إليها، هذا من العجب!

ففعلًا عندما يأتي هذا الخليفة -بإذن الله تعالى- الخيرات موجودة ولكنها تُستغل في غير مكانها، فسيحثو المال حثوًا لا يعده عدًا، حتى أنه في حديث آخر قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (يأتي الرجل فيمر على الزِبالة فيرى الذهب مرميًا في الزِبالة، فيقول: من أجل هذا قتلت أخي، من أجل هذا قتلت ابن عمي، فيذهب ويترك الذهب) لا يأخذه، بل قال -عليه الصلاة والسلام-: (يأتي زمان على الناس يأتي الرجل بصدقته لا يجد من يأخذها، فيأتي إلى الرجل فيقول له: خذ، فيقول له: لو أتيتنا بها بالأمس لأخذناها منك أما اليوم فلا حاجة لنا بها)، فالقناعة تصبح عند الناس فدراستنا للسيرة -بإذن الله تعالى- ومعرفتنا لسيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- تجعلنا نتفاءل بعودة هذا النصر وهذا العز، قال عليه الصلاة والسلام: (بشّر أمتي بالنصر والتمكين والسناء)، يعني: الظهور على الناس.

فأبشروا يا عباد الله، فهذا هو ما أريده منكم ومن نفسي، أن ندرس السيرة ليس كقصة عابرة؛ ولكن سيرة نعمل بها ونطبقها في حياتنا اليومية فنكون -بإذن الله تعالى- نتأسّى برسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ونجعل الناس يرون كيف كان عليه الصلاة والسلام.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم، وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينفعنا بما سمعنا وأن يعلّمنا ما ينفعنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.